بـــرُّ الـوالـديـــن

الحمد لله الواحد المنان، صاحبِ الفضلِ والإحسان، أحمده تعالى حمداً يفوق الحدّ والحسبان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وَعَدَ من أطاعه بفسيحِ الجنان، وتوعَّد من عصاه بالحميم الآن، وأشهد أن نبينا محمداً عبدُه ورسولُه صفوةُ بني الإنسان، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أهلِ العلمِ والإيمان.

أما بعد:

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التقوى، فالتقوى جماعُ الخيرات، وبها تحصلُ البركات.

أيها المسلمون:

جبلت النفوسُ على حبِّ من أحسن إليها، وتعلقت القلوبُ بمن تفضل عليها، وليس في الناس أعظمُ إحساناً ولا أكثرُ فضلاً من الوالدين، من أجل هذا قرن الله حقّهما بحقّه، فله سبحانه العبادةُ والإخلاص ولهما حسنُ الرعاية والإحسان قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ [النّساء: الآية ٣٦].

إن إحسان الوالدين عظيم وفضلَهما سابق، تأملْ حالَ الصغر وتذكر ضعفَ الطفولة: ﴿رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسرَاء: الآية ٢٤]. حملتك أمُّك في أحشائها وهناً على وهن، حملتك كرهاً ووضعتك كرهاً، ولا

يزيدُها نموُّك إلا ثِقلاً وضَعْفاً، وعند الوضع رأت الموتَ بعينيها، ولكن لما بَصُرت بك إلى جانبها سُرْعان ما نسيت كلَّ آلامِها، وعلقت فيك جميعَ آمالِها، رأت فيك بهجةَ الحياةِ وزينَتها ثم شَغَلَت بخدمتك ليلَها ونهارَها، تغذيك بصحتها، طعامُك دَرُّها، وبيتك حجرها، ومركبُكَ يداها، تحيطك وترعاك، تجوعُ لتشبعَ أنت، وتسهرُ لتنام أنت، تقدم سعادَتها لسعادتِك، وفرحَها لفرحِك، فهي بك رحيمة وعليك شفيقة، إنك في طفولتك متعلق بها تراها كلَّ شيء، إذا غابت عنك دعوتَها، وإذا أعْرَضَتْ عنك ناجيتَها، وإذا أصابك مكروه استعنت بها، تَحْسَب كلَّ الخيرِ عندها، وتظن أن الشر لا يصل إليك إذا ضَمَّتْكَ إلى صدرها أو لحظتك بعينيها، شغلت بك قلبَها، وجعلت عليك ربَّها حافظاً ووكيلاً، شعورها أنك قبسٌ من روحِها وفِلذةً من جسدها، فأنت لذلك غايةُ أملِها وجوهرُ حياتها.

أما أبوك فأنت له مجبَنَةٌ مبخلة، يكدح ويسعى من أجلك، يدفع عنك صنوفَ الأذى، يكرر الأسفار، يجوب الفيافي والقفار لينفقَ عليك ويصلحَك.

والداك نالا بسببك التعبَ والمشقة، غُرست محبتُك في قلوبهما لا يتركان شيئاً في وسعهما إلا بذلاه لإسعادك، أنت قرةُ عينيهما وزينةُ دنياهما، وأنت أُنس حياتِهما وأملُ مستقبلِهما، يرخصان المالَ إذا مرضت، ويجزلان العطاءَ إذا طلبت، من رحيقهما شربت، وفي حُجُورِهما وأحضانِهما نشأت.

هذان هما الأبوان اللذان جاءت الوصية بهما: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: الآية ١٥]. يقول الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: «حقّ الوالد أعظم، وبرّ الوالدة ألزم».

أيها المسلمون:

إن النفسَ الكريمةَ الأبية تعتز بمنبتها وأرومَتِها، والوالدان جعلهما الله موئلَ السعادة وروضةَ العطفِ والحنان، فحقّهما عظيم ومعروفُهما لا يجازى، وجميلُهما يربو على كل جميل من الخلق.

إن البرّ بالوالدين وفاءٌ وقربة، «**جاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد فقال: أحيٌّ والداك؟ قال: نعم، قال: «ففيهما فجاهد»** (متفق عليه)، برُّ الوالدين من شيمِ الكرام ودليلُ الفضلِ والكمال، وهو سَعةٌ في الرزق، وطولٌ في العمر، وطريقٌ إلى الجنة، يقول النبي ﷺ: «**الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فأضِعْ ذلك الباب أو احفظْه**» (رواه الترمذي وصححه)، في بقائهما سعادتُك وفي برّهما تتنزل البركاتُ عليك وعلى عقبك، هما جنتك ونارك، جاء رجل إلى عبدِ الله بنِ عمرَ رضي الله عنهما يسأله عن ذنوب اقترفها فقال: «تفر من النار وتحب أن تدخل الجنة؟ قال: إي والله، فقال: أحيٌّ والداك؟ قال: عندي أمي، قال: فوالله لو ألنْتَ لها الكلام وأطعمتها الطعام لتدخلن الجنة ما اجْتَنَبْتَ الكبائر».

صحبة الوالدين خيرُ صحبة ينجي الله بها من المخاوفِ والمهالِك، وهي سببٌ لسعادة الإنسان في الحال والمآل، إنها فريضة في دين الله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: الآية ٨٣].

هو خُلُقُ الأنبياءِ ودأبُ الصالحين وسببُ تفريجِ الكربات وإجابةِ الدعوات، به ينشرح الصدر وتطيب الحياة، قال تعالَى في وصف نبيه يحيى عليه السلام: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: الآية ١٤]، ويقول عن عيسى عليه السلام: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: الآية ٣٢].

تأمل في برّ الوالد والإحسان إليه كيف كان سبباً في عطف موسى عليه السلام وإحسانِه؟ قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا

لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: الآية ٢٣]. والمتأمل في صنيعهما يعجب من برّهما لأبيهما وإحسانهما إليه وخدمتهما له مع أنهما امرأتان، ومع هذا قامتا بما يقوم به الرجال غالباً مع الحياء والعفة والبعد عن الرجال. ما أعظمَ فقهَ السلف وما أعظم برَّهم لوالديهم وشدةَ حذرهم من العقوق، هذا ابن عون المزني لما نادته أمه فأجابها وعلا صوتُه صوتها أعتق رقبتين.

أيها المسلمون:

إنّ حقَّ الوالدين يتمثل في محبتِهما وطاعتِهما والتأدبِ أمامَهما وصدقِ الحديث معهما وتحقيق رغبتهما في المعروف، والإنفاق عليهما ما استطعت «**أنت ومالك لأبيك**» (رواه ابن ماجه)، ادفع عنهما صنوف الأذى فقد كانا يدفعان عنك الأذى، جنبهما كلَّ ما يورثُ الضجرَ: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسرَاء: الآية ٢٣]، تخيرِ الكلماتِ اللطيفة، والعباراتِ الجميلة، والقولَ الكريم، والرعايةَ المخلصة، أطب الكلامَ وألن الجانب، تواضع لهما واخفض لهما جناح الذل رحمةً وعطفاً.

لقد أقبلا على الشيخوخةِ والكبر، وتقدما نحو العجزِ والهَرَم، فكن بهما رؤوفاً رحيماً، وعليهما عطوفاً حليماً، قال رجل لعمرَ بنِ الخطاب - رضي الله عنه -: «إن لي أمّاً بلغ منها الكبر أنها لا تقضي حوائجها إلا وظهري لها مطية فهل أديت حقها؟ قال: لا، لأنها كانت تصنع بك ذلك وهي تتمنى بقاءك وأنت تصنعه وأنت تتمنى فراقَها، ولكنك محسن والله يثيب الكثيرَ على القليل».

إنّ حقَّهما عظيم، ومهما فعلت في برّ الوالدين والإحسان إليهما فلن تقومَ بواجبهما أو توفِّ حقوقَهما، ولكن الجأ إلى الله بالدعاء لهما في حال الحياة وبعد الممات، اعترافاً بالتقصير، وأملاً فيما عند الله من واسع الرحمة وجزيل الرضوان.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: الآية ٢٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم. . .

الخطبة الثانية

الحمد لله الملكِ الحقّ المبين، أحمده سبحانه وأشكره، تفرد بالربوبية والألوهية على خلقه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهُ الأولين والآخرين، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله بُعث بالحنيفية ملةِ إبراهيم، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فبرّ الوالدين إذا كان عنواناً للوفاء، ودليلاً على العقل والمروءة، وطريقاً للسعادة، فإنَّ العقوقَ عُنوانُ الشقاءِ والخسران، إنّه نكران للجميل ودليل على ضعةِ النفس ورقةِ الدين، هو ضعف وانتكاس للفطرةِ السوية، وطريقٌ إلى الحسرة والندامة، وإن مقابلة إحسان الوالد بالإساءة خروج عما شرعه الله من المكافأة على المعروف.

إن عقوق الوالدين من كبائر الذنوب قال ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين**» (رواه البخاري).

حَسْبُ العاقِّ نكداً وخسراناً أن يبوءَ بسخطِ الله ويُحْرَمَ من رضاه يقول ﷺ: «**رغم أنفه، ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه، قيل: من يا رسول الله؟ قال: من أدرك والديه عند الكبر أحدَهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة**» (رواه مسلم).

إن العقوبة تَحيْقُ بالعاقين في الدنيا، وإن دعوة الوالدين على الأولاد مسموعة مستجابة يقول النبي ﷺ «**ثلاث دعوات مستجابات لا شكَّ فيهنَّ، دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالدين على ولديهما**» (رواه الترمذي وقال: حديث حسن).

وإنّ من علامات السّوء في الأمة أن يكون من أفرادها من يغدو متنكراً لجميل والديه، مُصَعِّراً لهما خده، شامخاً عليهما بأنفه، معتزاً بشبابه، متجاهلاً ذلك الماضيَ الحافلَ بالمنن والأيادي السابغة.

والله تعالى يقول: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢١٥].

فقوموا ـ عباد الله ـ بحقوق والديكم والإحسان إليهما، وأطيعوهما بالمعروف، وقدموا لهما غاية البرّ والرعاية، وامتثلوا أمر ربكم في قوله: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: الآية ١٤].

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيه...